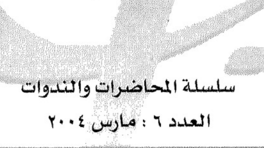
مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية

النخبة الثقافية الكويتية وعصر الاستقلال

(حياة وعصر الشيخ صباح السالم نموذجا)

أ. د. محمد الرميحي



سلسلة المحاضرات والندوات
العدد ٦ : مارس ٢٠٠٤

النخبة الثقافية الكويتية وعصر الاستقلال

(حياة وعصر الشيخ صباح السالم نموذجا)

أ.د. محمد الرميحي

توجه جميع المراسلات إلى مدير المركز على العنوان التالي:
مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية - جامعة الكويت
ص. ب: ٥٩٦٩ الصفاة، الرمز البريدي ١٣٠٦٠ الكويت
تلفون : ٤٨٣٤١٩٧
٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤١٢٥، ٤١٢٧، ٤١٢٩)
فاكس : ٤٨٢٤٦٤٥
البريد الإلكتروني : Center@csfs-Kuwait.org
الموقع على الإنترنت : www.csfs-kuwait.org

مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية
جامعة الكويت

هذا هو الإصدار السادس للمركز ضمن سلسلة المحاضرات والندوات. مركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية في جامعة الكويت هو مركز علمي بحثي مستقل أسس عام ٢٠٠٠ ويتمتع بالاستقلالية المالية والإدارية بإشراف مجلس أمناء مكون من قياديين في القطاعات الحكومية والخاصة والأكاديمية، ويتولى إدارة المركز الدكتور شملان يوسف العيسى. ويسعى المركز إلى متابعة القضايا الإستراتيجية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، كما يسعى إلى تنشيط الحوار في قضايا إقليمية كالملف العراقي، والصراع العربي الإسرائيلي، وآثار العولمة على المنطقة، والديمقراطية في العالم العربي والشفافية والمحاسبة في الحكم.
ورغم عمق وقيمة هذا الإصدار إلا أن هذا لا يعني أن جميع ما ورد فيها يعبر بالضرورة عن آراء المركز ومجلس أمناؤه أو جامعة الكويت. إن هذا الإصدار هو عبارة عن مساهمة تهدف إلى فتح باب الحوار حول القضايا التي تشغل منطقتنا وإلى مناقشة واقعنا بحرية وانفتاح، وذلك لكي نصبح أكثر مقدرة على تلبية متطلبات المرحلة ومواجهة تحدياتها.

تقديم الأستاذ عبدالله بشارة *

أود أن أشكر الشيخة حصة صباح السالم التي اتخذت المبادرة وتولت رعاية الكتاب بالصرف عليه، لقد اتصلت بي وطلبت مني أن أتولى هذا الموضوع، من اجل أن نبدأ باقتحام التقليد الكويتي السياسي وإدخال الإيمان والقناعة بأهمية السيرة الذاتية للقيادات الكويتية ودورها في مسيرة الكويت، ولأن الكتاب غير مسبوق في موضوعيته وفي موضوعه وفي الشخصية التي يتناولها فالأمل أن يكون حافزا لسلسلة من السير الذاتية اللاحقة. وكان قصد الشيخة حصة عندما جلسنا وتحدثنا في هذا الموضوع هو إلقاء الضوء على ثلاث نقاط أساسية. أولا سيرة وسلوك القيادة السياسية الكويتية، ومن خلال كتاب الشيخ صباح يقف القارىء على هذه السيرة. وكان المقصود أيضا إبراز الجانب الإنساني في حياة وسلوك الشيخ صباح السالم والتأكيد بأنه عنصر أساسي في ديمومة القيادة السياسية الكويتية، وعنصر أساسي في التحاور. وقد ورث الشيخ صباح السالم هذه السلوكيات المتوفرة في سلوك

* رئيس المركز الدبلوماسي

القيادة، وهي سر من أسرار عمق جذور التجربة السياسية الكويتية. ومن ينظر إلى الصيغة السياسية الكويتية، ومن عاش بقربها، ومن تعرف على سلوكها يرى بأن أحد العناصر المهمة في ديمومة الصيغة الكويتية هي السلوك الإنساني للقيادة السياسية. والشيخ صباح يجسدها بشكل عفوي له مردود ايجابي، كما ترك رصيدا كبيرا ليس من المدح والثناء، بل من النفس التلقائي العفوي. والكتاب يتحدث في بدايته حول هذا الموضوع، وسأقدم مثالا بسيطا له. في عام ١٩٥٦ وأثناء حرب السويس، استقال مدير عام الشرطة آنذاك جاسم القطامي، رغم أن الشيخ صباح السالم أراد منه أن يبقى، وقد استقال معه ١٢ شخصا تأييدا لموقفه، ولكنهم عادوا جميعا في عام ١٩٦١ عندما أصبح الشيخ صباح السالم وزيرا للخارجية، والذي رحب بهم دون التأثر بمواقفهم السابقة.

النقطة الثانية في هذا الموضوع، هي التركيز على الأزمات السياسية التي مر بها الشيخ صباح والقيادة الكويتية، وقد كانت الأزمة الأولى في ديسمبر ١٩٦٤ وسميت بأزمة , ١٣١ فقد كان الشيخ صباح نائبا للأمير الشيخ عبدالله السالم، وأراد من الوزارة التي شكلها أن تحلف اليمين فبدأت الاعتراضات على ما يسمى بالمادة ١٣١، وكانت هذه الاعتراضات على أساس أن تشكيلة الوزارة جاءت من التجار

ومن شريحة معينة ومن لم تأخذ بالاعتبار الأطياف المنتشرة في المجتمع الكويتي. هل هذه حقيقة؟ الكتاب يشرح ذلك، وقد جلسنا مع أبطال أزمة ٦٤: خالد المضف، عبد الباقي النوري، عبد العزيز الصقر، والكتاب يلقي ضوء كامل على تلك التجربة التي أعتقد أنها أدت إلى ما نعاني منه اليوم، ولو حسم أمرها في ذلك الوقت، لربما تغيرت المسيرة السياسية الكويتية. وكان رأيي أنه كان يجب أن يحل مجلس الأمة، لأن السلوكيات في ذلك الوقت كانت غير مقبولة وغير مسبوقة بالعناد وربما بالمبالغة في الخطاب وفي السلوك، وقد انسحب أعضاء في مجلس الأمة بمن فيهم أحد الوزراء وهو خالد المسعود. لماذا انسحبوا؟ الكتاب يلقي الضوء على ذلك، وفي رأيي أن سبب الأزمة يعود إلى عدم التنسيق بين رئيس مجلس الوزراء آنذاك وهو الشيخ صباح وبين رئيس مجلس الأمة عبدالعزيز الصقر. لقد كانت أزمة ٦٤ هي الأساس الذي هز صورة النظام السياسي في الكويت. وفي كتاب الاستقالة الذي قدمه إلى الأمير يقول الشيخ صباح السالم انه حاول مرارا أن يعتذر عن رئاسة الوزراء، وكان من رأيه الفصل بين ولاية العهد ورئاسة الوزراء، ولكن الشيخ عبدالله السالم كان له رأي آخر. ويحذر الشيخ صباح في كتابه من آثار سلبية أكبر إذا تركت الأمور بالنحو الذي سارت عليه. وكانت الأزمة الثانية التي عاشها الشيخ صباح السالم هي أزمة الانتخابات

في عـام ,١٩٦٧ هل للشـيخ صـبـاح السـالم يد في تلك الانتخابات التي عرفت بانتخابات التزوير؟ لقد حاولنا مع لجنة المستشارين المختصة ومؤلف الكتاب البحث في جميع المصادر، ولم نجد للشيخ صباح أي دور في تلك الانتخابات، واعتقد أن الشيخ صباح بآدميته وبخلقه وبسمو سلوكياته أكبر من أن يدخل في قضايا من هذا النوع. وكانت الأزمة الثالثة في عام ١٩٧٦ عندما قرأ بيان حل مجلس الأمة وهو مريض في لندن، وأيضا لم يكن سببا فيها.

لقد كان الشيخ صباح السالم يدعو إلى أمرين أساسيين، الأول عدم تدخل الأمير في صياغة المتطلبات اليومية للدولة، والثاني فصل ولاية العهد، لم يستطع تحقيق الأمر الثاني، فأوكل لولي العهد آنذاك سمو الشيخ جابر الأحمد بإدارة الدولة، وتناول همـا واحـدا في حيـاته، وهو الأمن وبقـاء الكويت. ومن يقـرأ الكتـاب يرى بأن الشـيخ صـبـاح السـالم عندما جاءه الخبر البريطاني بالإصرار على الانسحاب من المنطقة في نهاية عام ١٩٧١، اتخذ قرارات غير مسبوقة في الدبلوماسية الكويتية، وربما حتى في الذهنية الكويتية، فبدأ بتعزيز العلاقات مع المملكة العربية السعودية مدركا بأن البعد السعودي هو العمق الاستراتيجي والسياسي والجغرافي، وبدأ في جولة الزيارة الخليجية الشهيرة التي استمرت تسعة أيام، واقترح ربط الكويت بإمارات الخليج آنذاك، كما أنه ذهب إلى

واشنطن في ديسمبر ١٩٦٨ وكنت ضمن الوفد المرافق له، لبحث مسألة الأمن في الخليج بعد الانسحاب البريطاني. وكان الشيخ صباح السالم في آخر أيامه يرغب بأن تعيش الكويت على سياسة توزان القوى عربيا ودوليا، ولم يكن في باله أن يأتي اليوم الذي تعتمد فيه الكويت على قوة ما كما هو الحال اليوم. رحم الله الشيخ صباح السالم بتراثه الكبير ونأمل أن يكون هذا الكتاب سابقة تفتح المجال الكويتي إلى مبدأ وصيغة السير الذاتية.

النخبة الثقافية الكويتية وعصر الاستقلال (حياة وعصر الشيخ صباح السالم نموذجا)

أ. د. محمد الرميحي *

عندما عكفت على دراسة عصر الشيخ صباح السالم الصباح، بطلب من الزملاء في مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت، وبرغبة من الصديق السفير الأستاذ عبد الله بشارة، ظننت أنى سوف أعيد قراءة الكتاب الذي صدر مؤخرا باللغتين العربية و الإنجليزية، عن حياة وأعمال المرحوم الشيخ صباح السالم الذي قام بتأليفه روبرت جرمان، وقدم له السفير القدير الأستاذ عبد الله بشارة.

ولكني عندما بدأت القراءة وجدت أن عصرا بكامله لم يؤرخ له بعد التاريخ المناسب، خاصة من المنظور الثقافي و الاجتماعي، فوجدت أن إشراك القارئ ولو بلمحة عجلى عن تطور الكويت الحديث له دروسه ومستخلصاته، والذي أصبح له قرن أو يزيد اليوم، وقد يفتح بابا لباحثين شباب لولوج هذا الطريق.

لقد بدأ التحديث بالمعني الواسع للمفهوم بعصر الشيخ مبارك الكبير حتى أيامنا هذه، التي شهدت سنواتها الأخير،

❖ أستاذ في علم الاجتماع السياسي

تطور منقطع النظير في التغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي في الكويت، وكان عصر صباح السالم واسطة العقد، فهو الزمان الذي طبقت فيه إصلاحات الشيخ عبد الله السالم، ونمت حولها الدولة الحديثة في الكويت، ظهرت فيها العقبات من جهة واستطعم الكويتيون ثمار النجاح من جهة أخرى.

لقد كتب الكثير عن الكويت، من المنظور الاجتماعي، ولكنها كتابات إما مستندة على أضابير الوكالة البريطانية ولاحقا المفوضية الأمريكية في الكويت التي بدأت متأخرة على الأولى، وبلغة غير عربية، أو من خلال بعض الملاحظات التي دونها بعض الآباء الأولين و المستنيرين، وهي كتابات مشتقة من أحداث حضروها أو شاهدوها لم تخضع للمقارنة و التمحيص و التدقيق المنهجي، وإن أعطتنا بعض الشواهد على العصر، أهله وأحداثه.

ولم يكن هناك، مع الآسف أرشيف وطني كويتي، حوفظ عليه، وما كان من بعض الأرشيف افتقدناه كليا بعد الاحتلال العراقي للكويت في السبعة اشهر المقيتة بين أغسطس ١٩٩٠ وبين التحرير فبراير , ١٩٩١

ومعظم بلاد الخليج هي في الحقيقة في نفس موقع الكويت من الأرشيف الوطني، الذي لم تُتح له جزئيا عقول ترعاه، أو تظهر من أجله إرادة تؤكد أهميته، بان ينظم تنظيما جيدا قابل لاستفادة منه في المستقبل، و هنا في الكويت انشأ

أخيرا مركز الدراسات و البحوث الكويتية وأنيط العمل فيه برجال ثقاة وأيضا قادرون علميا بان يقوموا بما يجب عليهم القيام به، ولقد أنتج هذا المركز حتى اليوم عددا من الكتب التي سوف تصبح مراجع في موضوعاتها.

مع كل ذلك فان المتابع يفتقد السرد الحقيقي للتطور الاجتماعي و الثقافي و السياسي للكويت بتفاصيل تغني المسيرة، وتستخلص الدروس، وتنبه إلي مخاطر القادم من الأيام.

عصر صباح السالم

عصر صباح السالم وحياته يمكن تلخيصها في جملة واحدة انه (عصر البراءة و التلقائية) فإذا اعتمدنا ما تقوله المصادر بأن الشيخ صباح السالم قد ولد بين عام ١٩١٣ وبين عام ١٩١٥، ووفاته كما نعرف كانت في ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٧، يعني أن المرحوم قد عاش حوالي ٦٢ إلي ٦٤ عاما، قضي أكثر من نصفها في الكويت الفقيرة نسبيا، و النصف الثاني في الكويت التي حباها الله برزق وفير، وقد شهدت هذه الفترة تحولات كبري لا سابق لها في المجتمع الكويتي، أو في أي مجتمع عربي بما فيه مجتمعات الخليج التي اكتشف في أرضها النفط، المادة التي وفرت ذلك الانتقال الإنساني غير المسبوق، من ندرة إلي وفرة، ومن فقر يكاد يكون عاما إلي حياة مريحة للأغلبية، ومن جهل إلى علم.

بداية النهضة

(المثقف ضالع في تغيير المجتمع)

من ينسب له الإصلاح الشامل في الكويت؟ ذلك سؤال هام ودقيق في نفس الوقت، وبعد قراءة متأنية فاني أميلُ أن انسب الإصلاح لعصر وثقافة سياسية، شارك فيها المستنيرون من العائلة الحاكمة الكويتية من جهة، وقادة التنوير من النخبة الكويتية من جهة أخرى، فالإرث الطويل للعائلة الحاكمة الكويتية في ممارسة السلطة نتج عنه قدرة على التوائم مع المتغيرات، وكان أحد ممثلي هذا التوائم هو صباح السالم، الذي كانت إحدى مميزاته أن يبدو (أن من الحنكة السياسية، أن تُظهر أن ليس لديك حنكة سياسية).

صباح السالم شهد عصر الضنك، وعصر الرفاه، وحمل معه من عصر الضنك الكثير من عناصر المناعة ضد مفاسد الثروة، التي لم توفر إلا قليل من النخبة الحاكمة، كان من بينهم صباح السالم، وأيضا الفريق الذي سانده، كان على رأسه سمو الأمير الحالي الشيخ جابر الأحمد والشيخ سعد العبد الله والشيخ صباح الأحمد.

التنوير الذي التقطه الشيخ صباح السالم كان قد بدأ قبل ميلاده بعقد على الأقل، فقد شهدت الكويت في العشرية الأولى من القرن الماضي فائضا في ثروتها التقليدية، وهي

إنتاج اللؤلؤة، و كان الشيخ مبارك الكبير قد مهد له بعدد من الخطوات، أولا بعقده معاهدة، كانت وقتها شجاعة وغير تقليدية مع بريطانيا، ثم التحالف مع الشاب عبد العزيز بن سعود الذي خرج من الكويت معضدا بدعم مبارك الكبير كي يعيد حكم أجداده من جهة، ويزيل من طرف آخر ما كان يضايق الكويت في نجد وهو التحالف التركي مع ابن الرشيد في حايل، فتزامن الفائض الاقتصادي مع استقرار سياسي نسبي، وهو ما يؤهل لانطلاق المجتمع إلي الأمام.

لقد بدأ التعليم الحديث، أو ما يمكن أن يسمي حديثا في ذلك الوقت المُبكر بافتتاح مدرسة المباركية، وكان لاكتشاف مياه جوفية في منطقة حولي)خارج سور الكويت) في أوائل القرن ما له من إضافة للاستقرار، وتقول لنا بعض المصادر أن (حولي) أصبحت اسما يطلق على العديد من السفن، وعلى المواليد الحديثة في الكويت وقتها.

البحبوحة النسبية، جعلت من اسم الكويت يبرز في المجال العربي وجذب إليها نفر من المستنيرين العرب، منهم الشنقيطي و الثعالبي و حافظ وهبة و الريحاني، كل ذلك في الثلث الأول من القرن الماضي. وبدأ المستنيرون من الكويتيين بإنشاء أول مدرسة هي المباركية، ورغم أننا اليوم نختلف على مناهج الدراسة التي يجب أن تقدم لطلابنا، فان الآباء لم يختلفوا كثيرا في البداية، على المنهج الذي قرروه لأبنائهم، فقد كانت حصص

الحساب في المباركية لها علاقة مباشرة بالوضع الاقتصادي و الاجتماعي في الكويت وقتها، لقد قرر المدرسون أن يدرسوا (حساب الغوص و الجص و الدهن) في فصل الحساب. ثم ظهرت ظاهرة اجتماعية هي طبيعية لأهل الاجتماع في أي مجتمع، وهو الخلاف بين المجددين والمحافظين.

مع الفائض الذي شهدته صناعة اللؤلؤ وكذلك الاستقرار النسبي بدء الحراك الاجتماعي، ولم ينقض العقد الثاني، وفي حكم الشيخ أحمد الجابر حتى ظهرت الحاجة لمدرسة جديدة، ولمنهج جديد بعد أن استولى المحافظون على المدرسة القديمة المباركية وعجزت عن مسايرة التطور.

من الطرائف، تروى لنا إحدى وثائق التعليم في الكويت ما يلي: أن (عجز الشيخ يوسف بن عيس القناعي وغيره من الوقوف للمحافظين المتشددين، وظهر ذلك من سلوكه عندما طلب منه الشيخ أحمد الجابر أن يصلح المدرسة المباركية - بعد مسيرة عشرة أعوام- فوافقه، ولكنه اشترط عليه أن يحميه من الهيئة التدريسية عندما يتدخل في تطوير المناهج، وكان قد تحمل العنت والمشاق عندما كان ناظرا للمدرسة، لذلك كان مترددا في الدخول معهم في مناقشات، وقد فشل في إقناعهم بالتطوير، فظهرت المدرسة الاحمدية).

في مارس ١٩٢٤ (وكان الشيخ صباح السالم في حوالي العشر سنوات من عمره أو أقل) أقامت المدرسة الأحمدية

امتحانا لطلابها، يحضر هذا الامتحان المفتوح الحاكم نفسه الشيخ أحمد الجابر، وقد بدا إعجاب الحضور بقدرة الطلاب الذين تعلموا في هذه المدرسة مناهج دراسية جديدة، وجد المجتمع انه بحاجة لها، مثل مسك الدفاتر واللغة الإنجليزية، إلي درجة أن أجهش البعض بالبكاء (كما تقول لنا المصادر) من قدرة الطلاب التعبيرية، وآخرون قدموا ساعاتهم اليدوية للطلاب المتميزين في التو واللحظة إعجابا بهم.

نزاع المحافظين والمجددين

كان ولا يزال المجتمع الكويتي في صيرورته الاجتماعية والسياسية بين نزاع المحافظين والمجددين، وقد قدم الشيخ المستنير عبد العزيز الرشيد تمثيلية (تعتبر أول تمثيلية قدمت في الكويت من أهلها) تمثل ذلك النزاع الدائم الذي يشكل طاقة التغير، وقد قام بها طلاب الاحمدية وكانت تحت عنوان (محاورة إصلاحية) هنا تظهر كلمة إصلاحية من صنع المستنيرين، وفكرة التمثيلية هي عبارة عن رجل دين استشار صاحب له في دخول المدارس العصرية (الأحمدية) فحذره منها مبينا ما يدل على فسادها، فيتصدى له بعض التلاميذ ويفندون رأيه ويدحضون حججه بالبراهين العقلية و النقلية، استخدام التمثيل في هذا الوقت المبكر، هو تنبه لأحد أدوات التغيير الاجتماعي الفعاله، وقبول من المجتمع لهذه الأداة.

الصراع بين الحديث و القديم بين الإصلاح وبقاء الحال

كما هو بين المحافظين والمجددين مستمر، وستبقي سمة الصراع الاجتماعي إلى يومنا هذا، وفي كل المسيرة نجد أن النصر في نهاية الأمر للمجددين، الذين بسبب العمر أو المصلحة يتحولون إلى محافظين يأتيه جيل آخر للتجديد، إلا أن موقف الحاكم كان بيضة القبان في رفد التطور من جهة وضبطه من جهة أخرى.

لقد كانت النخبة الكويتية في العشرينيات من القرن الماضي وما بعده، تتابع الصحف المصرية التي تتأتي متأخرة عن طريق الهند، تعجب هذه النخبة بمصطفي كامل وعدلي باشا وسعد زغلول، يقرؤون الأهرام البلاغ و الكشكول و الهلال و المقتطف، في وسط الثلاثينيات بدأ الدارسون الكويتيون يأمون عواصم العلم و المعرفة إما بغداد أو القاهرة، ثم تطور الأمر في الخمسينيات إلى لندن ودبلن، بل والولايات المتحدة.

في النصف الأول من القرن الماضي، والشيخ صباح يتدرج من موقع إلى آخر في النظام الذي يبني، أصيبت الكويت بعد ازدهار العشرية الأولى إلى كساد في نهاية العشرينيات، ثم إلي كساد أكبر في الثلاثينيات عندما بدأت ثمار اللؤلؤ الصناعي المزروع في اليابان تغزو الأسواق التقليدية للؤلؤ الكويت و الخليج، خاصة الهند ومن بعدها لندن.

ولم يحظ مجتمع كالمجتمع الكويتي بصدفة تاريخية، ففي

الوقت الذي تقلص الاقتصاد التقليدي، وبدأت عدد سفن الغوص تتقلص، ظهرت تباشير النفط التي ما فتأت أن تدفقت إلي خزينة الكويت أمولا ساخنة، ومعها النماء و التطور، إلا أن دور النخبة المثقفة يمكن ملاحظته في تطور الكويت ودفع مجتمعها إلى الأمام.

ظروف التطور وبروز دور الشيخ صباح السالم في القيادة

الاعتدال و النظر إلى المستقبل وقراءة المتغيرات قراءة صحيحة، والظروف الموضوعية والأحداث السياسية المتغيرة كلها اتاحت للشيخ صباح تسلم القيادة. فقد كانت أحداث ١٩٣٨ التي جرت في الكويت، وما رافقها من عدم استقرار سياسي قد نبهت القيادة لتكوين قوة شرطة حديثة، بدلا من الاعتماد على (الفداوية) الشكل التقليدي لحفظ النظام، وكان الشيخ صباح هو أول عضو من العائلة الحاكمة يتسلم قيادة هذه القوة، وقد استمر في منصبه ذاك حوالي عقدين من الزمان، استعان وقتها بعدد من رجال الكويت المخلصين، وأدخل تطورا على الجهاز في فترات مختلفة تواكب تطور المجتمع وما يحدث في العالم، خاصة بعد زيارتين لبريطانيا في عام ٥٤ وعام ,٥٧

مرة أخرى تأخذ أحداث ١٩٥٩ الشيخ صباح إلى موقع آخر، هو إدارة الصحة في الكويت، فقد حدثت ثورة في

العراق، و قبلها حرب السويس، ثم الوحدة السورية المصرية، وكان للأحداث الثلاث، كل بطريقته، نتائج مختلفة على المجتمع الكويتي، عدا دخول الكويت كمنتج للنفط الخام، المادة التي هي شريان العالم الصناعي، تلك الأحداث أظهرت الحاجة إلى تطور سريع يتناغم مع متطلبات عصر جديد.

ومن جديد تأتى ظروف أخرى كي تقدم الاعتدال، فبوفاة الشيخ فهد السالم الذي كان له النصيب الأوفى في الإدارة الجديدة، وخروج الشيخ عبد الله المبارك من تسلسل الحكم، و الذي كان يوصف حتى قُبيل خروجه بنائب الحاكم يأتي الأمر إلي الشيخ صباح السالم، سلسا غير منازع، هذه المرة في شكل رئيس للوزراء بعد صدور الدستور و العمل به.

لماذا صباح السالم

تصف المصادر الخارجية شخصية الشيخ صباح السالم بأنه (رجل ودود حسن النية، شعبي وهو الأقل إثارة للجدل في الأسرة الحاكمة) مثل هذه الصفات يعرفها أيضا معاصرو الشيخ صباح من الكويتيين، فيرى بعضهم ممن عمل معه كالأستاذ جاسم القطامي والأستاذ عبد الرحمن العتيقي وغيرهم، إنه يحترم التخصص، ويأخذ بالمشورة، متى ما وجدها فيها الصالح العام، وهو شعبي عن حقيقة متواضعة لا عن تصنع أو ادعاء، ولعل الدعاء الذي كان يردده، كما نقلة روبرت جرمان في كتابه يكشف عن شفافية إنسانية واضحة،

والدعـاء المنسـوب إليـه يقـول (يا رب اعطني الصبـر وهدوء النفس لأتقبل الأشيـاء التي لا أستطيع تغـييـرها... يا رب اعطني الشجاعة لتغيير الأشياء التي أستطيع تغييرها... يا رب اعطني الحكمة لأعرف الفرق بين الأشياء التي لا أستطيع تغييرها و الأشياء التى يمكنني تغييرها...)

حقيقة الأمر دعاء مثل هذا تتمثل فيه الحكمة جلية واضحة، وتتمثل فيه النفس المتعففة وحس ثقل المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق القائد.

لذا يستطيع المراقب أن يلحظ من جملة الوثائق والمرويات أن المرحوم الشيخ عبدالله السالم بحكمته كان يرى دائما في صباح السالم الرجل الذي يستطيع أن يكمل خطواته الإصلاحية، كان الشيخ عبدالله السالم يلحظ العلاقة الودودة بين صباح السالم وبين الشاب جابر الأحمد، ويرى أن هذا التسلسل في الحكم هو الذي يؤكد الحكمة وينجي الكويت بأهلها مصاعب لم تكن غائبة عن خبرة وبصيرة الإصلاحي عبدالله السالم.

الصدمة الثقافية

لم تكن الكويت في منعزل عن التغييرات الحادثة في البلدان العربية المجاورة أو حتى عن العالم، إلا أن سرعة التغير، جعلت من حمل القيادة جد عسير، وفترة حكم الشيخ

صباح السالم (كولي للعهد ومن ثم أمير) وقعت في ما بين عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٧٧، وهي سنوات التغيير الشديد في العالم العربي وفي الداخل.

لقد أرسلت الكويت عددا من أبنائها بدءا من منتصف الأربعينيات للتعليم في الخارج (القاهرة وبغداد) وعاد كثير منهم في أوائل الستينيات متطلعين إلى التغيير كما شاهدوه في بلاد الدراسة، راغبين بالمشاركة، متطلعين إلى نهضة في بلادهم، ولعل المطلع على مجلة البعثة يرى المقال تلو المقال عن تصورات هذه النخبة للكويت في المستقبل، كما يلحظ)الصدمة الثقافية) لهذه النخبة في البيئية التي تعلموا فيها، أحد الأبواب التي تسترعي الانتباه باب (أطرف ما حدث لي) وهو باب يكتب فيه الطلاب الكويتيين في مصر ما واجههم من طرائف في حياتهم في ذلك البلد، ومن يقرأ ذلك الباب يعرف على وجه الدقة المفارقات التي تحدث لشباب لا يعرفون بعض قيم المجتمع الجديد الذي وصلوا إليه، أو سلوكيات الناس فيه، أو طرق التصرف أمام المواقف الاجتماعية المختلفة، أو حتى استخدام بعض الكلمات التي لها معان مختلفة بل مضادة للكلمات التي يستخدمها الطلاب القادمون من الركن الشمالي الشرقي للخليج.

هذه النخبة هي التي قادت المجتمع في طريق التغيير، فأخذت تنظر إلى واقعها تطلب التغيير، كما حدث في عام

١٩٥٤ عندما رُفع إلتماس من ٣٦ كويتيا متعلما للأمير وقتذاك الشيخ عبد الله السالم، يحتجون فيه على)الإسراف و التبذير المبالغ فيه، وكذلك الفساد الذي يستشري في بعض دوائر الحكومة، وطالبوا بتشكيل مجلس ممثلين).

بجانب قوى التغيير في المجتمع كان لا بد من وجود قوى المحافظة، فقد كان هناك امتعاض من بعض القوى الاجتماعية من الأبنية الجديدة وأضواء النيون والمشافي الحديثة، كان ذلك بالنسبة لهؤلاء بؤرة خطيرة تنذر بمقدمات للتأثير (الغربي) على المجتمع الذي أرادوا أن لا يتغير، حتى أن بعضهم كان يرى (الثروة) من عمل الشيطان، والتجارة أميل إلى (الخدعة)، وكانت الخطوات التحديثية أقرب إلى (الانفجارية) منها إلى التدرج، إلى درجة أن لاحظ تقرير غربي أن الجميع أصبحوا مهتمين بالمال إلى درجة (أن قائد فرقة الرقص الشعبي سابقا أصبح مهندسا).

إذا رصدنا المتغيرات في هذه الفترة (٥٢-١٩٧٧) فترة تقدم المواقع و ولاية العهد وحكم الشيخ صباح، سوف نجد أربع متغيرات محلية وخارجية.

التغيير الاجتماعي المتسارع، قوى المحافظة على القديم، ضغوط القوى الإقليمية والخارجية، قصر الزمن والتحولات الحادثة أثناءه.

سوف نلاحظ أن الرباعي صباح السالم، جابر الأحمد، سعد العبد الله، وصباح الأحمد يتقدم لأخذ الدفة في إدارة الدولة، موصولا بتصميم المسايرة مع الجديد وهضم المتغيرات، واستخدام المؤسسات الحديثة لصالح الكويت، هذا التكيف لم يكن دون عقبات، ولكن التصميم هو الذي جعل من تخطي تلك العقبات أمرا ممكنا.

في الشأن الداخلي كان هناك دائما صراع يحتاج إلى مُحكم عادل بين المحافظين والمجددين، تختلف التفاصيل من فترة إلى أخرى، ولكن هذا الصراع الذي كثيرا ما اخذ المحافظون الاستناد فيه إلى (الدين) سلاحا في الدفاع عن الموروثات، فكان الحلال والحرام ينتقل من تعليم الإنجليزية، إلى تعليم البنات، إلى المشاركة الشعبية إلى يومنا هذا كفصل البنين عن البنات في مدرجات التعليم، ومشاحنة برامج التلفزيون.

كانت الفترة تراوح بين المسموح و الممنوع، وكانت قوى جديدة تنظم إلى أطراف الصراع، في فترة كانت الجاليات العربية جزء من ذلك الصراع خاصة الفلسطينيون الذين وجدوا الكثير من العطف من الكويتيين بسبب نكبتهم، وتقول لنا المصادر أن أول بعثة فلسطينية حضرت إلى الكويت، قام مجلس المعارف برمته للقائها على الحدود البرية! هذه الجالية الكبيرة هي وغيرها من المواطنين العرب انضموا إلى

تيارات الصراع المختلفة، فكان منهم من التحق بالمجددين، تحت غطاء سياسي أو بالمحافظين، خاصة بعد أن تشتت قوى الأخوان المسلمين في مصر بعد النصف الثاني من الخمسينيات، كل هذه الاجتهادات وجدت أرضا خصبة ومريحة في كويت الستينيات والسبعينيات، وكانت طرفا بشكل ظاهر أو باطن في الصراع الاجتماعي والثقافي والسياسي في الكويت وقتها.

أما الصراع الأكبر فقد كان باتجاه الخارج، خاضه الرجال الأربعة وصباح السالم على سدة الحكم، في الأمم المتحدة، وفي الاعتراف الدولي، ومن ثم مع العراق الذي استمرت العلاقة معه بين شد وجذب، زادها تعقيدا الوضع الداخلي في العراق غير المستقر وربما السياسة الصبيانية التي اتخذتها العهود المختلفة، حتى الوصول إلى جريمة ١٩٩٠، إلا أن عهد الشيخ صباح شهد المد و الجزر في هذه العلاقة الشائكة وفي هذا الصراع المستمر.

العلاقة بالعرب لم تكن مريحة أيضا، ففي الخمسينيات مع المد القومي، كان تأثير الأحداث العربية، حرب السويس، ومن ثم الوحدة المصرية السورية، قد تركت آثارا في الجبهة الداخلية استمرت حتى السبعينيات من القرن الماضي.

أما على الساحة الخليجية فقد كان صباح السالم واعيا للخط الذي اختطه عبد الله السالم من المشاركة في الثروة

مع أهله في الخليج واليـمن، فـرعى اسـتـمـرار العـلاقـات الأخوية، بل قام بجولة خليجية مشهودة في أول أيام حكمه إلى دول الخليج، وشهد أيضا تخلص إخوانه في الخليج من الوجود البريطاني المباشر.

على الصعيد الدولي، واجه عصر صباح السالم تكوين العلاقات الدولية، ولم يكن بالأمر السهل أن يصبح للكويت علاقات مع الدولة السوفيتية التي كانت تخيف بنفوذها المصالح الغربية، كما ترصد لنا الوثائق أن العهد الجديد لم يكن يرى بنفس التوجه والزاوية ما كانت تراه بريطانيا، فقد أصبحت المصالح مختلفة عن ما كانت عليه قبل فترة وجيزة، وسوف تتعلم الدبلوماسية البريطانية أن زمن (النصائح في الشأن الداخلي) قد انتهت دون رجعة.

الخلاصة

اتصف عهد صباح السالم بعدد من الصفات، هي مزيج من فرحة شعب باستقلال وتدفق ثروة، وتنظيم دولة و تركيب إدارة، ومواجهة رطبة ومرنة مع المشكلات الخارجية، أما الداخليه فقد كانت في حدودها الدنيا، إلا أن هذا الاستقرار قد واجه عناصر عاتية كانت قمتها افتقاد الكويت لسيادتها لسبعة اشهر عاني فيها الكويتيين ما عانوا، إلا أن البذرة في العدل و الاستقرار قد أتت بأوكُلها في الملمات فلم يخرج كويتي واحد على إجماع عودة السيادة إلي الحكم وعودة الشعب إلي الشورى، وكان ذلك حصاد البذرة التي شارك في بذرها صباح السالم وإخوانه، وتعهدها الكويتيون جميعا.

مداخلات:

أ. أنور النوري

في فترة ما يسمى بحركة التنوير والتغير هناك شخصيات كان لا بد من ذكرها وهي الشيخ عبدالله الجابر رحمه الله بما له من نظرة انفتاحية في تطوير التعليم، وكان يشكل مع عبدالعزيز حسين ثنائي دفع بالتنمية إلى الأمام.



أ. سليمان ماجد الشاهين

نحن سعداء أن نسمع من الأخوين العزيزين الأخ عبدالله بشارة والدكتور محمد الرميحي عن الخليج حديثا وهموما. بودي أن أشير إلى الجانب الإنساني من حياة الشيخ صباح السالم من واقع حادثة في صيف ١٩٧٥ عندما تشرفت بالعمل سفيرا في مصر، فقد جمعتني الظروف بالرئيس محمد نجيب ولاحظت بأنه يمتلك سيارة متهالكة، وفي زيارة لي إلى الكويت ذهبت للسلام على سمو الشيخ صباح السالم وشرحت له قصة الرئيس نجيب والسيارة المتهالكة، فما كان منه إلا أن أمر بقطع الإجازة والعودة إلى مصر وإهدائه سيارة من طراز (فولفو). وعندما حكيت للرئيس نجيب قصة السيارة قال لي باللهجة المصرية "شوف يا بني السيارة الكركوبة دي حتعيش أكثر مما حعيش". وهذا الموقف يعكس

البعد الإنساني في حياة الشيخ صباح السالم وفي أنشطة أبناءه من بعده.



أ. سامي النصف

نشكر الأخوة عبدالله بشاره ومحمد الرميحي على عرض هذا الكتاب. لدينا معضلة حقيقية في الكويت تتعلق بالقصور في المعلومات والتوثيق عما حدث في الماضي وكيفية تقييم الوضع في الكويت، خاصة ونحن نتحدث عن دولة. الأمر الآخر، أن هذه الأمور يجب أن توثق بعيدا عن التشنج وعن المماحكة السياسية اليومية. وبودي أن نرى المزيد من هذه المطبوعات، وان نرى المزيد من ذكريات الأشخاص الذين كانوا فاعلين في الحياة السياسية الكويتية. وأقول على سبيل المثال أن الباحث سيجد قصورا شديدا في المعلومات عن تأثير التجربة الناصرية داخل الكويت بعكس دول مثل العراق وسوريا واليمن وليبيا والجزائر.



الشيخة حصة صباح السالم

أود أن استحضر جلسة سابقة في فرانكفورت في منتصف التسعينيات عندما تحدث الأستاذ عبدالله بشارة والدكتور محمد الرميحي بمناسبة معرضنا هناك عن سيرة

الشيخ مبارك الصباح، واليوم يستعرضون سيرة حفيده الشيخ صباح السالم. وقد كان لي إسهام بسيط في إخراج هذا الكتاب إلى النور، واشكر الأساتذة الأفاضل وكل من ساهم في هذه الندوة. وللحقيقة والتاريخ يجب أن اذكر أن صاحب الفكرة في خروج هذا العمل إلى النور هو المهندس عادل جارالله الخرافي الذي قدم مخطوطة لأخي سالم، وطلب منه أن يلقي نظرة عليه قبل أن يقوم بطباعته. وقد قام الشيخ سالم بتحويل الموضوع إلي، وعندما قرأت الكتاب وجدته عبارة عن تمجيد في شخص صباح السالم وكيف كان طيب القلب ويحب الكويتيين ويحبونه، فوجدت أن هذا الموضوع غير قابل للنشر لأنه تكرار لأمور لا تضيف شيئا جديدا، لذلك حفزني هذا أن أقوم بالطلب من الأخ الكريم الأستاذ عبدالله بشاره أن يقوم بالبحث العلمي المحقق مستندا إلى الأرشيف الموجود والى شهادات من عاصروا أمير الكويت في ذلك الوقت. وكان الهدف من هذا الكتاب أن يكون نوع من الوثيقة التاريخية يرجع إليها الباحث الكويتي لمعرفة جانب من تاريخ الكويت السياسي. وقد حفزتني أكثر كلمة أحد الأصدقاء عندما قال: وما أهمية عصر الشيخ صباح السالم، ابتدأ بتزييف الانتخابات وانتهى بحل مجلس الأمة. وكان هذا بمثابة دافع شخصي لي للبحث عن الحقيقة، الأمر الذي لم أستطع الوصول إليه مع تباين الآراء. وفي الواقع فإن كتابة

التاريخ عمليا هي إعادة بناء تتدخل فيها عوامل كثيرة منها التحيزات والتأويلات، بدلا من الاستناد إلى الحقائق الموضوعية، وأشير إلى ما قاله سيمون شاما من أن الحقيقة نسبية، وهو ما أكده نيتشه عندما قال لا توجد حقائق بل تأويلات فقط. وبالفعل فإن عملية التأريخ هي ما يريد المؤرخ أن يسجله، ومهما عملنا أو بحثنا في الأرشيف أو استمعنا لشهادات أناس معاصرين، فستظل الحقيقة مختفية في مكان ما، وستظل هناك جوانب لا نعلم عنها. وهذا الكتاب هو محاولة ،نشكر القائمين عليها، لملامسة الحقيقة، ليس كلها ولكن بعضها. وشكرا



أ. خليل علي حيدر

النقطة الأولى التي أود أن أعقب عليها هي ما تفضل به السفير عبدالله بشارة من أن الشيخ صباح السالم كان مسكونا بالهاجس الأمني. وفي الواقع الكويتي هناك قرارين أُتّخذا بينهما قرن كامل ووُجها بنفس ردة الفعل. الأول عندما وقع الشيخ مبارك الصباح اتفاقية الحماية مع الإنجليز، والثاني عندما سمحت الكويت لقوات التحالف في مرحلة دقيقة جدا من تاريخها في عام ٢٠٠٣ بالدخول إلى أراضيها لتحرير العراق. نفس التفكير المثالي والديني الذي وقف في وجه الشيخ مبارك الصباح بحجة أن الإنجليز كفار ولا يجوز

الاستعانة بهم ضد الدولة العثمانية، عاد وتكرر عام ٢٠٠٣ بنفس المعطيات. وهذا الأمر امتداد لقضية أخرى في تاريخ الكويت، وهي أنه منذ العشرينيات والثلاثينيات كانت التيارات السياسية الرئيسية في البلاد هي التي لها علاقة مباشرة بمصلحة البلد أو بما يتوافق وتطلعاتها، فنجد أن التيار القومي خدم في مجالات ولكن استراتيجيته لم تكن تنسجم مع متطلبات الوضع الكويتي، وأيضا عندما بدأ التيار الديني بالانتشار في منتصف السبعينيات لم تكن استراتيجيته تنسجم مع مطالب وإمكانات الكويت، وهذا الأمر يحتاج أيضا إلى دراسة عميقة، ومن المثير للاستغراب كيف كان الشيخ صباح يتصرف تحت وطأة هذه الضغوط القوية من التيار القومي آنذاك، وكيف استطاع التوفيق بين صداقة واعتماد الكويت على بريطانيا، والموجة القوية التي كانت ضد بريطانيا في تلك المرحلة. النقطة الأخرى، أنه لم يكن أحد ينتبه لأخطاء المعارضة التي لم تكن مثالية في ذلك الوقت. صحيح أن المعارضة ساهمت في دعم وتعميق الديمقراطية ومكافحة الفساد، وهنا أدت دورا تاريخيا لا خلاف عليه، ولكن في نفس الوقت كان لديها أطروحات قومية وعنصرية في مرحلة من المراحل، وتبنت شعارات غير واقعية كالإتحاد مع العراق أو الجمهورية العربية المتحدة، فلم يكن كل ما طرحته المعارضة منسجما مع مصلحة البلد. فينبغي أن ننتبه عند تناول تاريخ المعارضة لهذا الأمر. وشكرا

Center For Strategic And Future Stu

